او الاستعمار الجديد، الى هذا البلد، أو ذاك؛ وذلك كما جرى، ويجرى، عملياً.

ان الواقع، الذي جعل، في الماضي، الاستعمار القديم ممكناً، هو ضعف تطوّر البلدان المستعمَرة. وعندما أحرقت اليابان المراحل، وانتقلت من العصور القديمة الى العصر الحديث، لم يستطع الاستعمار الاوروبي ان يطاولها، على الرغم من استمرار النظام الاقطاعي فيها. والواقع الذي يجعل الاستعمار الجديد ممكناً هو ضعف تطوّر بلدان العالم الثالث، ممّا يجعل من السهل امتداد شبكات الاحتكارات الدولية اليه. ما كان ممكناً، تاريخياً، ان تبقى الثروات الطبيعية مدفونة الى الأبد في مختلف مناطق الكرة الارضية. كان لا بدّ من ان يوجد من يستثمر النفط العربي، والنحاس التشيلي، والمعادن الافريقية. والسيادة السياسية في كل مكان، لا معنى لها، اذا لم تتضمّن القدرة على استثمار الثروات الوطنية لصالح الشعوب، أو اذا لم تتضمّن النضال في سبيل التطوّر، الذي يوفّر هذه القدرة. ما معنى السيادة السياسية لدولة تعيش على الرعي، أو على الزراعة المتخلّفة؟ كانت اليمن مستقلة سياسياً في ظل النظام الامامي، فماذا كان يعني استقلالها؟ طبعاً، الاستقلال هامّ بالنسبة الى مسيرة التطوّر؛ ولكن أهميته تبقى ضعيفة جداً، اذا لم تترافق بالنضال في سبيل التطوّر.

والحوار الديمقراطي بين الحكومات العربية، والتعاون، ولو على الحدّ الادنى، الاقتصادي والاجتماعي ـ السياسي، يساعد في دفع عجلة التطوّر العربية الى أمام، وفي زيادة القدرة المشتركة على الدفاع عن النفس.

هذا الكلام يصحّ بالنسبة الى الاحزاب والتشكيلات السياسية العربية. ان أدبياتها تدور، اجمالاً، حول أهداف، أو حول مقولات اجتماعية ـ سياسية. وتحتد مناقشات هذه الاحزاب والتشكيلات الى درجة الوصول الى خلافات شديدة، أو الى صراعات دموية. وكلها تنفي، الى هذا الحدّ، أو ذاك، بعضها بعضاً. مع ذلك، لو استطاع أي منها ان يزيل بعصا سحرية منافسيه دفعة واحدة، لوجد نفسه في فراغ، ولما درى، ماذا يعمل؟ بل ينتقل، في مثل هذه الحالة، الى انقسامات جديدة.

لكي تكون الاحزاب والتشكيلات السياسية في بلد ما عامل قوة، من الضروري ان تتجه نحو الالتقاء، أكثر من اتجاهها نحو الافتراق، ولو كان الالتقاء على الأدنى، وان تجعل من مسألة التطوّر جزءاً اساسياً من منظوراتها الاجتماعية ـ السياسية، وان تحوّل برامجها من برامج اجتماعية ـ سياسية الى برامج اقتصادية ـ تطوّرية مترابطة مع البرامج الاجتماعية ـ السياسية.

كثيراً ما تعقد المؤتمرات الرسمية، أو الشعبية، ويخرج منها كلام كثير، يبقى متناثراً في الفضاء. أمّا العمل النضالي، فيتطلّب الانتقال الى العمل الكثير، والكلام القليل. ومثل هذا الانتقال، لا يمكن ان يتمّ، الّا اذا كان جميع الاطراف تستند الى أساس مادي.

ربما مثل هذا المنحى سيبقى لزمن غير قصير بعيداً من الصعيد الواقعي؛ فالعرب، مثل غيرهم، يتعلّمون من حسابهم، وقد يكلّف هذا النوع من التعلّم الكثير الكثير.

الدعم العربي المطلوب

ليست الانتفاضة الفلسطينية مبرّأة من الاخطاء؛ ولكنها تسير، عموماً، على الطريق الصحيح. فهي تؤلف ثمرة التقاء متراصّ وجيّد بين فصائل منظمة التحرير الفلسطينية المناضلة. وعلى الرغم من بعض الاختلاف في المواقف بين هذه الفصائل، بل وعلى الرغم من الاختلاف أحياناً في المنطلق الايديولوجي، يبقى الالتقاء في الداخل والخارج ثابتاً.